كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضرات في مقياس سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي د. تالي جمال

عنوان الليسانس: **علم اجتماع** اسم الوحدة: **أساسية** الرصيد:**5** معامل:**2**

المحاضرة الحادية عشر: الرابط الاجتماعي عند لوي التوسيير

التوسيير والماركسية:

اذا ما أردنا فهم القراءة البنيوية التي قام لويس ألتوسير للمتن الماركسي، لابد أولا وقبل كل شيء من قراءة السياق الفكري الذي ظهرت فيه هذه القراءة والاسباب التي أدت إلى نشوءها[1]؛ فها هو روجيه غارودي يحاول قراءة كل من الوجودية والكاثوليكية والماركسية قراءة نقدية يستخرج من خلالها خيطا رابطا يربط بين كل هذه الاتجاهات المتضاربة في محاولة منه لتجاوز أوجه التباين والتناقض القائمة بينها؛ حيث أعاد الماركسية الى جذورها الانسانية ضاربا بعرض الحائط النقلات/القطيعة الابستيمولوجية التي قام بها كل من ماركس وانجلز، وجعل من التحول الاجتماعي راجعا الى أسباب إنسانية تجريدية لاغيا بذلك مقولات المادية التاريخية والدياليكتيك الموضوعي.

ولعل هذا ما جعل ألتوسير يعود بالماركسية إلى صلابتها العلمية متجاوزا بذلك الرخاوة التي أصابت هذا الفكر النقدي من طرف بعض القراءات التي غلب عليها الطابع البورجوازي والتي أفرغتها من طابعها النقدي والنضالي.

فألتوسير في عودته إلى أصول المتن الماركسي (كتابات ماركس الأساسية) لم يكن خاوي اليدين، بل كان « مزودا بكل انجازات الفكر والعلم المعاصر،

ويستخدم في فهم النصوص أحدث أدوات التحليل الفكري التي عرفت في النصف الثاني من القران العشرين، وخاصة تلك التي تحققت في العلوم الإنسانية التي إمتد إليها تأثير العلم الطبيعي، كعلم اللغويات المرتكز على فكرة البناء، والتحليل النفسي الجديد المتأثر بهذه الفكرة نفسها »[2].

وهذه المجموعة من الأدوات والمفاتيح الجديدة هي التي جعلت من القراءة الألتوسيرية قراءة خلاقة أثبت من خلالها أن المفكر يمكن له أن يكون ماركسيا و مبدعا في آن، عكس القراءات الشائعة التي كان يسميها بـ "الماركسية السوقية التي أفقدت الماركسية أصالتها وجعلتها مجرد امتداد للهيجيلية.

نظرية الأيديولوجيا أو الرابط بين الذات والدولة:

خلال السبعينات ، استمر لوي ألتوسير في مراجعاته التى بدأها في 1967 ، وصاغ أفكار ً ا ماركسية أخرى كان يعتقد أنها تحتاج إلى تطوير. ولعل أشهر تلك الصياغات المفاهيمية الجديدة الناتجة عن تلك الجهود مفهوم " الاستجواب الأيديولوجي" ، وهو مفهوم يصف كيف يصبح الإنسان ذات تعي نفسها ، تم نشر المفهوم في مقال تحت عنوان " الأيدولوجيا وأجهزة الدولة الأيدلوجية" (1970) وتم اقتباسه من مقال اكبر تحت عنوان " إعادة إنتاج الرأسمالية.

ويحلل ألتوسير في هذا العمل العلاقات الضرورية بين الدولة والذات والتى تبقي النظام الاقتصادي للإنتاج قائم ً ا. إنه لا يتضمن فقط تحليل الدولة وأنظمتها القانونية والتعليمية ولكن أيضا العلاقة النفسية / السيكولوجية بين الذات والدولة كأيدولوجيا.

كان الغرض من تلك السردية لسيرورة تشكل الذات هو تطوير حجة ألتوسير في أن الأنظمة أو الدول قادرة على الحفاظ على سيطرتها عن طريق إعادة إنتاج الذوات التي تعتقد أن أوضاعها في البيئة الاجتماعية طبيعية، أو الأفكار التى تكمن في الخلفية والتى تحكم رؤيتنا للطريقة التى يسير بها العالم، ودورنا فيه من خلال تفاعلنا معه تُفهم، وفقًا لهذه الرؤية، لعب أنها دومًا على وضعها الراهن.

على أي حال ، فإن كل النظم الاقتصادية والاجتماعية المعينة تتطلب أيدولوجيا معينة تتوافق معها. ويتم تأسيس تلك الأيدولوجيات عن طريق مؤسسات أو " أجهزة الدولة الأيدولوجية " مثل الأسرة والمدرسة والكنيسة وهلم جرا، والتي تزود الذوات النامية بالتصنيفات التي من خلالها تعرف الذوات نفسها.

ونظرًا لأن الشخص يسلك على هذا النحو ويتبنى الممارسات المرتبطة بهذه المؤسسات ، فقد تم " الترحيب به " أو " استجوابه بنجاح ، ويعرف نفسه أنه الذات التى تتصرف على نحو معين. ونظرًا لان نتيجة هذه الإدراكات هي استمرار العلاقات الاجتماعية القائمة، يرى ألتوسير أن ديكتاتورية البروليتاريا ضرورية حيث يمكن استبدال أجهزة الدولة الايدلوجية التي تنتج الذوات البروجوازية بتلك التي ستنتج ذوات بروليتارية أو شيوعية[3].

السيطرة الطبقية واعادة الانتاج:

محاضرات في مقياس سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي د. تالي جمال

السيطرة الطبقية واعادة الانتاج لا يمكن ان تحدث فقط على مستوى البنية التحتية أي الاسلوب المتعين للانتاج الاقتصادي في المصانع والورشات والمزارع،بل لا لابد ان تحدث في البنية الكلية للمجتمع، أي في مختلف البنى السياسية والاجتماعية والتربوية والقانونية التي تشكل البنى الفوقية وتتظافر مع البنى التحتية لتشكل هذه البنية.

الدولة تلعب دورا رئيسيا في هذه العملية، وليس فقط عن طريق أجهزتها القمعية التي تحدث عنها ماركس كالمحاكم والشرطة والسجون والجيش، بل ايضا وبشكل رئيسي عن طريق اجهزتها الايديولوحية التي لا يشترط ان تكون تابعة لها مباشر كالمدارس ودور العبادة ووسائل الاعلام والنقابات والعائلة، هذه الاجهزة هي التي تضمن من خلال الايديولوجيا السائدة أن يلعب كل فرد طوعا الدور المرسوم له ضمن تقسيم العمل والهرمية الاجتماعية، وفي حال لم يخضع تماما لهذا التأثير فستلعب المؤسسات القمعية دور خط الدفاع الثاني وتجبره على ذلك بشكل عنيف.

طبعا لا توجد مؤسسة قمعية أو ايديولوجية خالصة، فحتى جهاز الشرطة يمارس دورا ايديولوجيا وان كان العنف طاغيا عليه، في حين تمارس المدرس دورا قمعيا وان كان الدور الايديولوجي غالبا عليها.

ان الرابط الاجتماعي حسب التوسير هو نتيجة لعلاقات السيطرة التي تؤطرها المؤسسات الايديولوجية والقمعية على السواء، وتخلق الافراد من خلالها على النحو الذي تريد وتعمل على هندسة الروابط الاجتماعية بما يخدم النظام السياسي ويضمن استقراره واستمراره عن طريق أدوات تمنكنه من اعادة انتاج نفسه باستمرار.

يقول لوي التوسيير:"إننا، أنتم وأنا، كنا دائما وما زلنا ذواتا، وهكذا نمارس طقوس الاعتراف الأيديولوجي، التي تضمن لنا بالفعل ذوات مرئية فردية"[4]. إنها الذات الإنسانية المجردة من كل امتيازاتها الميتافيزيقة، إنها ذات مشوهة صنيعة الاجهزة الإيديولوجية للدولة، ذاتنا المصنعة الموجودة حتى قبل ولادتنا، اذ تعدها الايدولوجيا في كل مكان حسب المفاهيم العامة عن الأخلاق والعمل والذكورة والأنوثةوالدين والتقاليد ّ ، وحتى طقوس انتظار المولود ومنحه اسم في العائلة، هكذا تخلقنا الايدولوجيا وتجعلنا نستبطنها في دواخلنا، ونتصرف على أساسها وكأنها خياراتنا الشخصية.